



خرجت من البيت مهرولاً لا ألوى على شيء، كنت أجري كالجنون باتجاه الفندق الذي يقيم فيه، دخلت ورمي بنفسي داخل المصعد باتجاه غرفته، كنت ألهث بينما كان عامل المصعد ينظر إلي بتعجب ودهشة، فتح الباب فانطلقت كالصاروخ باتجاه غرفته، طرقت الباب بعنف، ورأسي مستندة إلى الباب، فتح باب الغرفة وظهر بجلابية بيضاء ناصعة، وطاقة بيضاء تنطلي شعره الأشيب، وابتسامة حنون يعكسها حزن عميق. صرخت:

- فعلوها يا سيدى، فعلوها..

- ما هي؟ ضربت حمص بالمدافع؟

- نعم.

- كما فعلوا غيرها كثيراً.

- والصين يا سيدى وروسيا صوتنا ضد القرار في مجلس الأمن.

- أدخل معي- أخذني من يدي- وقال بعد أن استقر بنا المجلس: هيا نتكلم ونحن نشرب الشاي، وأخذ بإعداد كأسين من الشاي الأخضر!

- (صرخت) ما العمل الآن؟

- أهدا قليلاً حتى نستطيع أن نفكر، قم الآن فاغسل وجهك، والتقط أنفاسك، هيا قم، لا أريدك ضعيفاً هكذا.

- (بعد قليل)..... سيدى أعتذر على طريقة دخولي، وصراخي بهذا الصورة، إذ إن الحدث قد ملأني غيظاً وألماً.

- (ناولني كأس الشاي، وكأنه يعلمني درساً في رباطة الجأش والتماسك أمام النوازل، وكاد أن يقول لي بلسان حاله: من مؤهلات سيف الله المسؤول القيادية أنه مهما اشتدت المواقف أمامه يظل متماسكاً، وبهذا تصدر قراراته عن اتزان فكري كامل، وتأتي في غاية الصواب!!) ما المشكلة الآن؟

- سيدى، لقد توحشوا تماماً، وأعتذر من كل الوحوش!! هم يقصفون أحياءً بكمالها.

- هذه ليست أول مرة، ولكنها على كل حال عالمة ضعف، وإفلاس، وليس عالمة قوة، صدقني في هذه القراءة لموفهم.

- كيف تكون كذلك، والقصف مظهر قوة تتنفس، فتختفق بها أرواح النساء والأطفال؟!

- لولا شعورهم بدائرة الخطر تضيق حول أنفاسهم لما استوحشوا بهذه الطريقة، إنهم- الآن- يستخدمون كل طاقاتهم

الشريرة، وبأعلى مستوياتها، وهذا يعني أنهم اقتربوا من حافة الانهيار، إضافة إلى أنهم يريدون أن يزرعوا في النفوس الربع الذي عاشوا في لهبها عقوداً مضت، وهيئات فقد ألقى هذا المزروع بعد اقتلاعه وإحراقه في أتون المطالب السامية؛ "الحرية والكرامة والتحرر من ربيقة عصابتهم الخاسرة".

- سيدى، أتريد أنهم قد فعلوها في حماة في الثمانينات بدم بارد، ولم يزعجهم شيء، وبهذا زرعوا الرعب منهم في سائر المدن؟!!!.

- صحيح صحيح، ولكن الأمر - اليوم - مختلف، لأن السوريين - اليوم - كلهم من الشمال إلى الجنوب يعلنون رفضهم لهم، ويجهرون بأعلى الأصوات "ارحلوا"، وإن دكت الأرض من تحت أرجلكم دكاً، هم - الآن - يريدون إخماد نار الغضب التي أضرمتها الأحرار، فتزداد اشتعالاً، ولذلك هم يستخدمون أقوى ما عندهم ظالئين أنهم يوجهون للرافضين الضربة القاضية، ولكن الشعب يرفضهم، يمقتهم، ألم تر إلى تلك اللافتة التي رفعها أحدهم: (لا بقينا إن بقيت).

- روسيا والصين؟ لقد أفسدتا كل شيء.

- لأنهم على شاكلتهم في قهر الشعوب وكثرة الجرائم والقعود على صدور الناس!!، هؤلاء الذين يدعون الثورة من أجل الناس ثم يتحولون إلى لصوص يسرقون حتى الكحل من العيون، ثم تميل الأيام عليهم وعلى نظرياتهم الثورية الجوفاء، فيتحولون إلى مafيات وعصابات، لا دين، لا أخلاق، لا مبادئ، إنهم أبناء ما وتسى توونغ وماركس ولينين وستالين بعد أن تحولوا إلى مجرد محنطات في مذبلة التاريخ، تنفسن أحفادهم أكثر مما تشرفهم، أبناء العهر الثوري، ثم السقوط في مستنقعات القرصنة واللصوصية والتجارة بكل شيء حتى بأبناء بلادهم وبنائهم.

- سيدى، ما فائدة هذا التوصيف إن كانوا قد أفسدوا كل شيء؟؟؟

- يبدو أنه لم يدفع لهم الثمن المناسب، وهذه مسؤولية العرب والعالم كله، إن دفع لهم أكثر مما يدفع النظام في سوريا بقرش واحد يببعونه وأهله وذاريه، مع دوافع أخرى لا بد من كشفها.

- هل تقصد شراء مواقف مناقضة لموقفهم؟

- نعم، فهم كالعاهرات يبعن عشاقهن لمن يدفع درهماً واحداً أكثر.

- الناس موتى من الجوع والبرد، من يقدر منهم على أن يدفع لهم ما يطمعون فيه؟؟؟

- (مبتسماً) هناك من يستطيع أن يدفع إن أراد، ولن يريد إلا عندما يفهم أن هذا النظام إن بقي سيكون خطراً على المنطقة كلها.

- ومن يفهمهم؟

- أنت، وأنا، وكثيرون، يجب أن نوضح للجميع خطر هؤلاء الحثالة مع حلفائهم إن بقي هذا النظام، واستقوى بعد ضعف، إذ إن عروشاً وكراسي هامة يمكن أن تهتز بفعل مكرهم وجرائمهم.

- سيدى... ألا ترى أنك متفائل، بل طافحة نفسك تفاؤلاً؟

- بل أنت الضعيف المتهافت الذي لا يقدر على وعي ما ينبغي، ولا يستطيع مع هذا أن يتخذ الموقف السليم!!، ما بك يا رجل؟! لا أعرفك من قبل هكذا، الشباب الذين يقابلون القذائف الفاجرة بتصور عارية ليسوا بجبنك ويسألك!!!.

- سيدى.. أنا متألم من أجلمهم.

- ليسوا بحاجة إلى ألمك، وإنما إلى صمودك ودعمك وإيمانك.

- إيماني؟

- نعم، إيمانك بقدرة الله على كل شيء، إيمانك بأنهم "يمكرون ويمكر الله"، وأين مكرهم من مكره، إيمانك بأن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء، إيمانك بأن للباطل جولة وللحقد جولات، لعل الله - عز وجل - يريد أن نیأس من كلخلق ومن كل

- الأسباب، حتى نعود إلى حقيقة التوحيد، قولهً وفعلاً وشعوراً واعتقاداً، لتفلس كل الأسباب مادام رب الأسباب معنا، وما دمنا على الحق، والله - تعالى - {لا تأخذه سنة ولا نوم}، و{إن ربك بالمرصاد}.
- عشرة شهور يا سيدى، عشرة شهور، وهم يفعلون الأعاجيب قتلاً تهديماً كذباً وتزويراً؟
- ليست كعشر السنين التي قضها المسلمون في مكة مستضعفين من أكابر مجرميها!!، ومنها ثلاثة سنين من الحصار الاقتصادي الذي أكل معه الصحابة الكرام ما لا يؤكل!!، لم ييأس واحد منهم، بل كانوا دائمًا مؤمنين بأن نصر الله قادم.
- (بدأت بالانتباه إلى نفسي) صحيح، لا يقطن من رحمة الله إلا القوم الكافرون.
- في غزوة الخندق أفلست الأسباب، وبلغت القلوب الحناجر، فكان الحال كما وصف الله - تعالى - { وتبذلوا بالله الطعنوا }، عندها جاء نصر الله من حيث لا يدري أحد، حتى فر كفراً قريش كالكلاب المفروعة لا يلدون على شيء، هل تعلم لم روى القرآن الكريم لنا هذه القصة؟
- لم يا سيدى؟
- حتى لا يوجد مثالٍ مماثلٍ يرتدون من الخوف والجبن ويقتلهم اليأس عندما تشتد الأزمة وينسون أن الشدة غالباً ما يتبعها الفرج، كما يتبع الليل النهار.
- سيدى.....
- قم وافعل شيئاً لإخوانك أفضل مما أنت فيه، يجب أن تعيد ترتيب إيمانياتك كلها، ثم ألم نقرر في الجلسة الماضية أن علينا أن نقوم بما أوجبه الله علينا، وعلى الله النتائج؟
- نعم يا سيدى.. صحيح..
- (أمسك بكتفي وهزه) وتلا قول الله - تعالى - {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}.
- صدق الله العظيم.
- والرساريين غيروا ما بأنفسهم، ولم يبق إلا أن يغير الله أحوالهم كما وعد ورتب.
- صحيح يا سيدى؟
- إنه وعد من الله - عز وجل -، والله لا يخلف وعده.

المصدر: رابطة العلماء السوريين

المصادر: